The 2nd ICONITIES
International Conference on Islamic Civilization and Humanities
Faculty of Adab and Humanities
UIN Sunan Ampel Surabaya
28-29 May 2024

الرموز الشعرية عن المقاومة الفلسطينية في قصيدة "في القدس" لتميم البرغوثي

The Poetry Symbols about The Palestinian Resistance in Kasidah “in Yerussalem” by Tamim Barghouthi’s

أحمد شيخو
فطن مشهود بحري*
جامعة سونان أمبيل الإسلامية الحكومية بسورابايا

ملخص البحث:

تناول هذا البحث عن توظيف الرمز في تجربة الشاعر تميم البرغوثي، باعتباره تقنية سيميائية يساهم في إغناء النصوص، وتخصيب معانيها، وتعميق دوالها، وتشكيل صورها الشعرية، وحاول تبيّن دور الرمز في بناء النصوص الشعرية، وإثراء دلالاتها، وإبراز جمالياتها، فتتبع أنواع الرموز التي وظفها الشاعر، كالرمز الديني، والرمز التاريخي، والرمز الطبيعي، والرمز الاجتماعي، والرمز السياسي. وتوصل البحث إلى أن الشاعر تمكن من شحن لغته الشعرية بمجموعة من الرموز، ووظف أبعادها الإيحائية في التعبير عن تجربته الشعرية والشعورية، وتشكيل نصوصه، وتعميق دلالاتها، وإثارة المتلقي، وتحريك فعاليات القراءة. فالقدس تعتبر من أهم المدن ذات أصالة وتاريخ طويل ورغم منع العدو الغاشم يبقى الحنين إليها كما كتب الشاعر الشاب تميم البرغوثي في قصيدة "في القدس".

Abstrak:

Penelitian ini membahas tentang penggunaan simbol-simbol dalam pengalaman penyair Tamim Al-Barghouti, sebagai teknik semiotika yang berkontribusi dalam memperkaya teks, menyuburkan maknanya, memperdalam maknanya, dan membentuk gambaran puitisnya simbol-simbol dalam mengkonstruksi teks puisi, memperkaya konotasinya, dan menonjolkan estetikanya, maka ia menelusuri jenis-jenis simbol yang digunakan penyairnya, seperti simbol agama, simbol sejarah, simbol alam, simbol sosial, dan simbol politik simbol. Penelitian tersebut menyimpulkan bahwa penyair mampu memuat bahasa puisinya dengan seperangkat simbol, dan menggunakan dimensi sugestifnya untuk mengekspresikan pengalaman puitis dan emosionalnya, membentuk teksnya, memperdalam konotasinya, menggairahkan penerimanya, dan merangsang aktivitas membaca. Yerusalem dianggap sebagai salah satu kota paling penting dengan keaslian dan sejarah yang panjang, dan meskipun ada pencegahan dari musuh yang brutal, masih ada kerinduan terhadap kota tersebut, seperti yang ditulis oleh penyair muda Tamim Barghouti dalam puisi “In Jerusalem.”

e-ISSN: 3025-1575

تمهيد:

الشعر تعبير انفعالي وجداني لموقف دفين كان له أثر قوي في نفس الشاعر لأن الطريقة الوحيدة التي اهتدى إليها الإنسان بحكم تكوينه البيولوجي والنفسي للتعبير عن انفعاله. وهذا ما دعا الشاعر دائما إلى إبداع قصيدة تعبر عن مشاعره وتخاطب مشاعر المتلقين لتقيس درجة انفعالهم الظاهري مقارنة بانفعاله الداخلي والخارجي لأنه لا يتطلب من الشاعر أن يتعمق في أدوار الآخرين ليعرف مشاعرهم ولكن يكتفي بردة العمل الظاهر أمامه.

تميم البرغوثي هذا الشاعر الذي خاض معركة شرسة وطويلة الأمد مع نفسه ومع شعره وما قضيته هذا الشاعر الذي عرف بصفاء الشعر وأناقته متوسلا بلغة من اللغات ومنصة إلى سر الوجود بعيدة عن ضجة الحياة إيمانا منه بأن الشعر هو الذي يحرر الإنسان من الزمن المستبد فكان له ما كان بتأميم النزعة الإنسانية المهددة بالتقدير والترويض الحواس المتحجرة وبث روح الأمل وزرع روح المقاومة لكافة أشكال القهر فإن مهمة الشاعر الصادق توجيه رؤى الناس وتوعيتهم مع الواقع وذلك من صدق التجربة الشعرية.

تميم البرغوثي شاعر المقاومة:

ولد الشاعر تميم البرغوثي في القاهرة تاريخ 13 يونيو 1977 م، والده الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي ووالدته الروائية المصرية رضوى عاشور. وفي العام الذي ولد تميم البرغوثي بدأت عملية السلام المصرية الإسرائيلية بزيارة الرئيس أنور السادات إلى القدس ثم على إثرها نفي عدد من الشخصيات الفلسطينية العامة ممن كانوا يقيمون في مصر، ومن ضمنهم الشاعر مريد البرغوثي الذي كان يعمل في إذاعة صوت فلسطين، وهي إذاعة المقاومة الفلسطينية آنذاك، أذاع مريد البرغوثي بيانًا أدان فيه زيارة السادات للقدس.

تعد قصيدة "في القدس" من أروع القصائد التي أبدعها الشاعر تميم البرغوثي والتي نال بها وسام أمير الشعراء عام 2009، من دولة الإمارات العربية المتحدة. قصيدة "في القدس" مقسمة إلى ستة عشر وحدة، قد نجد كل وحدة تعبر عن موضوع يختلف عن آخر.

ومطلع هذه القصيدة هو:

مَرَرْنَا عَلَىَ دَارِ الْحَبِيْبِ فَرَدَّنَا # عَنِ الدَّارِ قَانُوْنُ الأَعَادِي وَسُوْرُهَا (البرغوثي، 2009: 7)

وفي عنوان هذه القصيدة "في القدس" دلالاته الرمزية وما يتأتى من قراءة له، فشبه جملة "في القدس" لها دلالات ومعاني حسب المادة اللغوية التي استدعيت لتصوير هذا المشهد. فحرف الجر يدل على الظرفية والمصاحبة. والمناسبة التي أنشدت فيها هذه القصيدة تتزامن مع ظرف حرج تكر به مدينة القدس، نكبة طال أمدها. وأما المصاحبة فهذه المدينة التي يتعانق فيها التاريخ والحاضر معا. فالفاء هنا إشعار بشد الأحزمة والتهيؤ للدخول إلى مدينة السلام.

يذكر أن الشاعر تميم كان يعاني من وضع نفسي مؤثر وذلك بعد أن طردته الحكومة المصرية من أراضيها وقد ألف ديوانا كاملا باللهجة المصرية بعنوان "قالوا لي بتحب مصر قلت مش عارف" (تميم البرغوثي، 2009) تأثرا بهذه الحادثة.

بداية القصيدة تصف زيارة الشاعر البائسة المخيبة للآمال للقدس .. وكيف لم يستطع أن يتجاوز قانون الأعداء وسور المدينة العالي. ويحاول الشاعر أن يواسي نفسه باعتبار ذلك نعمة عليه لأنه قد منع من أن يرى مصائب ونكبات القدس التي لا يستطيع أن يغيرها أو يبدلها، وكذلك يذكر نفسه بأن القدس ستظل في العين مهما بعدت العين عنها. ثم يبدأ الوصف للمدينة وكيف استطاعت اليد الأجنبية ذات السلطة والنفوذ أن تغير وجه المدينة ومعالمها، وهؤلاء الأجانب إن كانوا يسكنوا المدينة أو أتوها سياحاً، فهم لا يستطيعون أن يروا وجهها الحقيقي وهم يقومون بتشويه معالمها.

سيميائية الرموز: فعالياته البنائية وقدراته الإيحائية

احتل الرموز بمختلف صورها المجازية والبلاغية مكانة بالغة الأهمية في بنية النص الشعري، بل أصبح معلما بارزا في التشكيل الفني للقصيدة العربية، (ماجد قائد، 2022: 61) كما يعتبر أداة من الأدوات الفنية التي يعتمد عليها الشعراء وبخاصة المعاصرين للتعبير عن تجاربهم وغاياتهم ومقاصدهم. والشعر كائن لغوي رامز، يتشكل من الرموز اللغوية الدالة ومدلولاتها المتصورة في الذهن والخيال، والرمز الشعري نسق علاماتي، يقوم بتحويل العلامة اللغوية من اللغة العادية إلى لغة الإشارة والترميز والإيحاء والتكثيف.

إن الرموز الشعرية هي سحر اللغة الذي يوظفه الشاعر لبناء نصه فنيا، وتشكيل رؤيته، وتصوير الواقع، واحتواء عوالمه الداخلية، وتخصيب المعاني، وإثراء الدلالات، وخلق عوالم جمالية.

يتمتع الرمز الشعري بفعالية قادرة على نقل الصور الشعرية، واختزال مواقفها، والإفصاح عن الحالات الشعرية، فليست اللغة إلا بديلا مقننا للتجربة نفسها. والتواصل اللغوي ويفترض عمليتين متقابلتين: أحدهما الترميز، ويسير من الأشياء إلى الكلمات، والثانية فك الرموز، ويسير من الكلمات إلى الأشياء. أي فهم نص من النصوص عبارة عن تبين ما يختفي ما وراء الكلمات. (جان كوهن، 1986: 33) وبمعنى آخر إن الرموز تستلزم مستويين: مستوى الأشياء الحسية أو الصور الحسية التي تأخذ قالا للرمز، ومستوى الحالات المعنوية المرموز إليها. وحين يندمج المستويان في عملية الإبداع نحصل على الرمز، ولابد من وجود علاقة بين ذلك المستويين، هذه العلاقة التي تهب الرمز ثوب التمثيل الباطن فيه، ولا يقصد بها التماثل في الملامح الحسية، بل يقصد بها تلك العلاقات الداخلية بين الرمز والمرموز من مثل النظام والانسجام والتناسب. (محمد فتوح أحمد، 1977: 40).

الرموز الشعرية في قصيدة "في القدس" لتميم البرغوثي:

تنوعت الرموز الشعرية في قصيدة تميم البرغوثي الوطنية وبخاصة قصيدة "في القدس" من الرموز الدينية، والرموز التاريخية، والرموز الطبيعية، والرموز الاجتماعية، والرموز السياسية. وبالتالي بيان كل من هذه الرموز:

أولا :الرموز الدينية

إن أهم ما يميز الرموز الدينية بغيرها من العلامات والإشارات الرمزية، أنها تعطي انفعالات عاطفية، وتوقظ الحواس والنفس ومداركها النسبة للمؤمن، ويتمتع الرمز الديني عن غيره من الرموز بالتصاقه بالعمق الروحي والكيان العاطفي للإنسان، وارتباطه بالعالم العلوي، ويمتلك قوة تأثيره لها حمولاتها الدلالية، وفاعليتها داخل منظومة الفكر في المجتمعات.

وظف الشاعر تميم البرغوثي كثيرا من الرموز الدينية في قصيدته توظيفا فنيا، وهي رموز تتعلق بالشخصيات وأماكن وكتب وشعائر دينية مقدسة، ارتبطت بالوجدان الجمعي للمتلقي، وحملت شحنات رمزي، ضخت دماء جديدة في أوردة النص، فتدفقت الدلالات والمعاني، وتواشج الماضي بالحاضر؛ ليكون رؤية كونية عميقة، ويرجع ركون الشاعر للرموز الدينية لإدراكه بقيمها الفنية والجمالية، وما تحمله من كثافة دلالية.

ومن الكلمات التي هي تعتبر من الرموز الدينية في هذه القصيدة هي الهلال، والقباب، والإنجيل، والقرآن، وقبة ذهبية، وخطبة الجمعة، والمساجد، والكنائس، والعتبات، ونوافذ الرحمن، والمعجزات، والقبور، وغير ذلك.

أ. **الهلال والقباب**؛ ذكر تميم البرغوثي في هذه القصيدة بقوله:

فِي القُدْسِ يَزْدَادُ الهِلَالُ تَقَوُّسًا مِثْلَ الْجَنِيْنِ
حَدْبًا عَلَى أَشْبَاهِهِ فَوْقَ الْقِبَابِ

تصور هذه الأبيات مشهدا أصيلا يرمز إلى متانة الآصرة بين الإسلام دين التوحيد والذي عبر عنه بالهلال، وهو الشهر المؤرخ به عند المسلمين، وأبنية القدس وخص منها القباب للدلالة على قبة المسجد الأقصى خاصة، أو على الفن المعماري الأصيل ذي الطابع الإسلامي داخل هذه المدينة. وذكر مرة أخرى كلمة القبة الذهبية كرمز للمسجد الأقصى دون سواه، حيث قال:

فِي الْقُدْسِ تَعْرِيْفُ الْجَمَالِ مُثَمَّنُ الأَضْلَاعِ أَزْرَقُ
فَوْقَهُ يَا دَامَ عِزُّكَ قُبَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ

أراد تميم هنا برمزيتها البارعة أن يحكي لنا قصة التقاء السماء بمدينة القدس، قصة الأنبياء الذين عمروا تلك المدينة بتعاليم السماء تعاليم الوحي المنزل عليهم من رب العالمين. وكان المسجد الأقصى هو محل هذه

النعمة ومقصدها، لذلك نجد الشاعر يكنيه ههنا بالقبة الذهبية، فصور استقبالها للوحي وطريقة انتشاره بين أهلها كأكياس المعونة حينما توزع في الحصار لمستحقيها، فهو العدل والرحمة معا، التي كانت تنعم بهكا هذه المدينة ودينها إذا ما تعرضت لبغي غازي أو جور حاكم مستبد.

وتم سبب بناء قبة الصخرة مثمنة الأضلاع من قبل الباحثين والمؤرخين أنها ترجع إلى نظريتين:

النظرية الأولى: ترتكزعلى أسباب دينية وأكثرها شهره مقولة ان الصخرة هي عرش الله الأدنى، ولأن عرش الله في السماء تحمله ثمانية ملائكته حسب الآية "وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا*وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ" (آية 17 – الحاقة)، كان لابد أن تحيط بالصخرة ثمانية أضلاع.

النظرية الثانية: تُركز على الفن المعماري الهندسي، فالتناظر واستغلال المساحة والإحاطة بالصخرة وإمكانية فتح أربعه أبواب تبعا لاتجاهات الأربع تتوفر في المثمن ولا تتوفر في المخمس ولا المسدس مثلا، مع إستبعاد الشكل المربع بسبب زواياه القائمة البشعة وبساطه بناءه التي لا تليق بقبة الصخرة. فالمثمن يوفر زوايا منفرجة (135 درجة)، من الداخل تعطي أريحية في النظر وسعة في المكان فالشكل المثمن من أقرب الأشكال للدائرة.

ب. الإنجيل والقرآن

قال تميم البرغوثي في قصيدته:

فِي القُدْسِ أَبْنِيَةٌ حِجَارَتُهَا اقْتِبَاسَاتٌ مِنَ الإِنْجِيْلِ وَالْقُرْآنِ

الشاعر يعرفنا على القدس على أنها معروفة على مر العصور لأنها مهد الحضارات ولها تاريخ عريق يشهد لها بذلك فهو يبين لنا القدس وما تحويه من جمال رباني فهي بمثابة الأم التي تضم أولادها من كيد العدو فهي تحتوي على الكثير من الديانات فهي أرض الأنبياء والرسل فهي ثاني القبلتين وهي التي عرج عليها النبي صلى الله عليه وسلم في ليله الإسراء والمعراج.

فالقدس أرض مقدسة تتمكن فيها الديانات الثلاث المعروفة وهو الإسلام والمسيحية واليهود. يرمز الدين الإسلامي بالقرآن والمسيحية بالإنجيل ولم يذكر كتابا لليهود هنا لكنه اشار يما فعله اليهود الصهانية على الاحتلال. وذكر أيضا المساجد والكنائس كمكان للعبادة عند المسلمين والمسيحيين:

ونوافذٌ تعلو المساجدَ والكنائس،

أَمْسَكَتْ بيدِ الصُّباحِ تُرِيهِ كيفَ النقشُ بالألوانِ،

ولم يذكر مكان العبادة لأهل اليهود إنه ذكر حائط المبكى، بحيث جعل كل اليهود هذا الجناح مكانا مقدسا لهم. حائط المبكى أو حائط البراق هو جزء من السور المحيط بالمسجد الأقصى، كما له مكانة إسلامية، وتدور حوله العديد من المزاعم اليهودية من أجل الاستيلاء عليه وإخراج الفلسطينيين من أرضهم بدون أي وجه حق، ولكن اليهود يحيكون حوله الأكاذيب لخداع العالم بأن لهم تاريخ. سعى اليهود

هذا الحائط أيضا الحائط الغربي ويعتبر حائط المبكى واحدا من أشهر وأهم المعالم الدينية الموجودة في مدينة القدس على أرض فلسطين المحتلة.

قال تميم البرغوثي في قصيدته:

رشَّاشٌ على مستوطنٍ لم يبلغِ العشرينَ،
قُبَّعة تُحَيِّي حائطَ المبكَى

وقد ذكر في الحديث النبوي الشريف "أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم عرج بي إلى السماء (رواه الإمام مسلم).

فيحظى هذا الحائط مكانة عظيمة في تاريخ الإسلام وكان رمزا من الرموز التاريخية التي ذكرها تميم البرغوثي في قصيدته، وزعم اليهود أنه رمز تاريخي عظيم من الأثر الوحيد المتبقى من هيكل سليمان، وسمي بحائط المبكى نظرا للطقوس التي كان يقوم بها أصحاب الديانة اليهودية بجوار هذا الحائط حزنا على خرابه وهدمه وهناك يمكن لليهود أن يتعبدوا به ويؤدوا صلواتهم فيه.

الرجال يقومون بوضع غطاء على رأسهم، والنساء كذلك يقمن بارتداء ثيابه طويلة لا يظهر منها إلا الأكتاف والأرجل. يبدأ اليهود صلاتهم أمام الحائط بالصراخ والبكاء والنواح، وهي من طقوس العبادة لديهم، حزنا منهم على انهيار الهيكل المزعوم وتدميره.

المسجد الأقصى

حائط المبكى

ج- خطبة الجمعة

تكون خطبة الجمعة رمزا من الرموز الإسلامية المعروفة وقصيدة "في القدس" لها علاقة قوية بهذه الخطبة حيث كتبها الشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي في لحظة من المشاعر الصادقة الجارفة من حزن وهم ألمت به بعدما لم تسمح له قوات الاحتلال الإسرائيلية بدخول المدينة والمسجد الأقصى لأداء صلاة الجمعة وذلك لصغر سنه حيث كان يبلغ من العمر سبعة وعشرين عاما وكانت قوات الاحتلال الإسرائيلية لا تسمح لمن هم أعمارهم أقل من 35 عاما بدخول الأقصى في ذلك الوقت، وعاد إلى رام الله مكان إقامته

حزينا وكتب القصيدة ونشرتها إحدى المجلات الأردنية ولم ينتبه إليها أحد في ذلك الوقت فقد كانت قصيدة مغمورة.

وقد عبر ذلك البرغوثي في قصيدته بقوله:

إذا ما أُمَّةٌ من بعدِ خُطْبَةِ جُمْعَةٍ مَدَّتْ بِأَيْدِيها

وفي القدس السماءُ تَفَرَّقَتْ في الناسِ تحمينا ونحميها

هذه الكلمة وما شبهها من الكلمات مثل المولد النبوي، والإسراء والمعراج، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج من الرموز الإسلامية ذات معاني عريقة في الدين. وقد استوفى الشاعر في قصيدته بهذه الرموز الدينية وتجلت تلك الرموز في قصيدته.

ثانيا: الرموز التاريخية

يقدم الرمز التاريخي بمعطياته المختلفة إضاءات للنص، ويخصب شعريته بدلالات رشاحة قادرة على الإيحاء والتمويه، ويساهم في بلورة تصورات الشاعر ومواقفه، ويربط ماضي الأمة بحاضرها، ويساهم في وضع تصورات ورؤى للواقع المعيش.

وقد يتحد التاريخ بالأسطورة، فالأسطورة نظام رمزي، يستحضره الشعراء في رسم صورهم الشعرية، وهي شكل فني أخاذ يستأثر بفكر المتلقي وقلبه ويستثر خياله، إنها تعبير عن الوجود والواقع، له دلالاته العميقة وهي حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يشف عن معلن ذات صلة بالكون والوجود وحياة الناس. سعى الشاعر تميم البرغوثي أن يجسد من خلال الرمز مواقفه، ويفرغ شحناته، ويطرح مواقفه ويمزج بين الحلم والواقع، ويضافر الماضي بالحاضر، ويهرب من الواقع التعيس إلى رحابة الماضي المغمور بالقوة والمجد والقداسة، فقد وظف الرمز الأسطوري في نصوص قصائده باعتبار الأسطورة معطى تراثيا غنيا بالقيم والمعاني التعبيرية والفنية التي تساهم في بناء التجربة الشعرية.

أ- **مدرسة المملوك والمغول**؛ قال تميم البرغوثي:

في القدس مدرسةٌ لمملوكٍ أتى مما وراءَ النهرِ،

باعوهُ بسوقِ نِخَاسَةٍ في إصفهانَ لتاجرٍ من أهلِ بغدادٍ أتى حلباً فخافَ أميرُها من زُرْقَةٍ في عَيْنِهِ اليُسْرَى،

فأعطاهُ لقافلةٍ أتت مصراً، فأصبحَ بعدَ بضعِ سنينَ غَلاَّبَ المغولِ وصاحبَ السلطانْ

أراد الشاعر تميم البرغوثي أن يلمح ذكره عن أصول الدولة المملوكية التي ولدت منها صلاح الدين الأيوبي من الدولة الأيوبية، وهو رجل حرر القدس من أيدي الأعداء. وأصل المماليك هم الرقيق الذين تنحدر أصولهم من بلاد ما وراء النهر، وقد كان دخولهم على جسم الدولة الإسلامية على شكل عبيد يدخلون في خدمة الملوك والسلاطين، وهناك ارتباط وثيق بين تاريخ الأيوبيين وبين تاريخ المماليك العسكريّ، وكانت أصول معظم المماليك تركية تغلغلوا في جسم الدولة الإسلامية عن طريق بيعهم إلى الحكام أو عن طريق الأسر في الحروب، وفي معظم الأحيان كان يتم جلبهم وهم صغار السن حتى تتم تربيتهم على الولاء

المُطلق للسلطان، ويجدر الحديث أن المماليك لم يتم التعامل معهم بقسوة من طرف الأيوبيين، وقد كان المملوكي يتلقى تعليمه ويتربى على القرآن الكريم وتعلّم اللغة العربية، سيبدأ تاريخ المماليك وله ارتباط وثيق بالملك الصالح نجم الدين أيوب الذي اعتمد عليهم في دولته.

ثم عقب بعد ذلك عن حرب المماليك والمغول في معركة عين جالوت عام 658 هـ، وكان قبل هذا التاريخ أحداث مهمة في تاريخ الدولة الإسلامية مثل سقوط بغداد وإنتهاء الخلافة العباسية على يد المغول، فقد كان الخليفة المُستعصم بالله آخر خلفاء الدولة العباسية في الفترة التي تعرضت فيها الدولة للغزو المغولي، وقد أسقط المغول بغداد عام 656 هـ[٦]، وكانت نية المغول السيطرة على بلاد الشام ومصر أيضًا، وبعد توجههم نحو بلاد الشام تنبه المماليك لهذا الأمر وكانت معركة عين جالوت البارزة في تاريخ المماليك، وقد بعث المغول رسائل التهديد إلى المماليك لكن السلطان المملوكي قطز رد على هذه الرسائل بتوجيه الجيش المملوكي لمواجهة المغول، وكان يقود الجيش المملوكي القائد بيبرس، وكانت المعركة في منطقة عين جالوت في فلسطين، وانتصر المماليك على المغول في معركة عين جالوت عام 658 هـ، وكانت معركة عين جالوت التي دارت في شهر رمضان بمثابة نصر كبير وحد بلاد الشام ومصر تحت سيطرة المماليك.

وقد ذكر تميم البرغوثي لون زرقة العيون لما هم فيه من شدة الأهوال والأحزان (قطب، 1996: 2253) وهذا يتفق مع ما ورد في القرآن الكريم: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (طه : 103) فكلمة "زرقا" إنما تدل على شدة الازرقاق مع ما يكتنفه من كآبة شديدة وحزن عميق وشعور بالإشراف على الموت (الزمخشري، د.ت: 446).

ب- **بابل**؛ قال تميم اليرغوثي:

في القدس رائحةٌ تُلَخِّصُ بابلاً والهندَ في دكانِ عطارٍ بخانِ الزيتْ

واللهِ رائحةٌ لها لغةٌ سَتَفْهَمُها إذا أصْغَيتْ

ذكر تميم البرغوثي أيضا عن بابل كرمز تاريخي بحيث أن فرض الإمبراطور البابلي نبوخذ نصر الثاني حصاراً على القدس عاصمة مملكة يهوذا في الفترة ما بين عامي 589-587 قبل الميلاد خلال آخر الثورات اليهودية ضد بابل. استمر حصار البابليون للقدس لمدة 30 شهرًا قبل أن تسقط في أيدي البابليين الذين دمّروا المدينة بشكل منهجي وهدموا المعبد الأول، كما قاموا بحل مملكة يهودا وبنفي العديد من سكانها إلى بابل. وأصبحت يهوذا مملكة تابعة للإمبراطورية البابلية خلال أواخر القرن السابع قبل الميلاد.

ج. **الأمم السابقة المختلفة**؛ قال تميم البرغوثي:

فيها الزنجُ والإفرنجُ والقِفْجَاقُ والصِّقْلابُ والبُشْنَاقُ

والتاتارُ والأتراكُ، أهلُ الله والهلاك، والفقراءُ والملاك، والفجارُ والنساكُ،

ذكر تميم البرغوثي بهؤلاء الشعوب الذين لهم علاقة تاريخية بالقدس من الزنج أى الشعب السوداني والذي يعيش في العديد من الدول الأفريقية، ثم الإفرنج أى مجموعة قبائل جرمانية غربية ويشير المصطلح اليوم إلى الأوربيين بشكل عام، ثم القفجاق أى تحالف من القبائل التركية في العصور الوسطى وتعرضوا للغزو المغولي في القرن الثالث عشر الميلادي، والبشناق أي لقب شائع بين بلاد الشام من أصل بوسني ويستخدم البشناق أيضا بين السوريين والفلسطينيين والأردنيين للإشارة إلى شخص ذي بشرة فاتحة وحسن المظهر، ثم التاتار والأتراك المعروفين في التاريخ.

أراد تميم البرغوثي أن يذكر هذه الرموز الشعبية لأن القدس مليئة بالناس الذين يأتون إليها ويقصدونها من كل شعب ولغة، ولكن المؤرخين قد جعلوا هؤلاء نص المدينة بعد أن كانوا هوامش في التاريخ. وفي ختام القصيدة أكد تميم البرغوثي بأن القدس للشعب العربي فحذر المؤرخين بأن يعيدوا الكتابة التاريخية بصدق.

ثالثا: الرموز الطبيعية

شكلت الطبيعة بعناصرها وصورها الصائتة والصامتة بيئة شعرية خصبة؛ نظرا لما تكتنزه رموزها من حركة وحيوية ودينامية وجمالية، تمنح الشاعر مساحة في استيطان مواقفه الحياتية، وكشف إدراكه لعالمه المحيط به، وإبراز رؤياه، وإثراء تجربته، وتشكيل لوحاته الشعرية، وصيغها بالجمال، وإشباعها بالدلالة.

استعمل تميم البرغوثي مفردات وكلمات تدل على ما يريد من أسماء الحيوانات والنباتات والجمادات. فنجد مثلا من الحيوانات أن البرغوثي شبه مدينة القدس بالغزالة في قصيدته :

غزالة

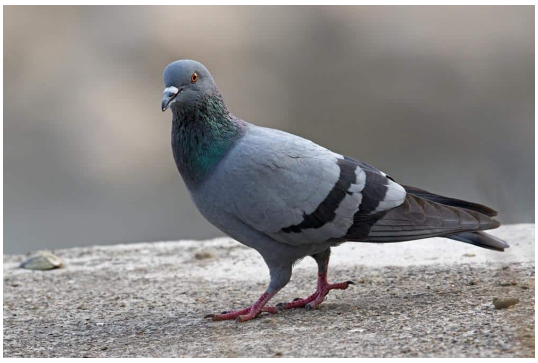

حمامة

وهي الغزالة في المدى، حكم الزمان ببينها

هذه المفردة تشير إلى ذلك الحيوان الظريف الرشيق، الذي ما ألفنا إلى أن نراه مطاردا من قبل الفهد، فيفترسه مرة ويفلته مرات. وكأن مدينة القدس صارت مطاردة كالغزالة، فهي تتملص من صيادها ومفترسا بقفزاتها الرشيقة لتخط طريقا نحو النجاة والحرية حتى أن التاريخ قد تبسم من صمودها.

وذكر أيضا الحمام من الحيوانات الأليفة الذي يطير يعلن دولة في الريح بين رصاصتين. والحمام جنس من الطيور المنتشرة على نطاق واسع، ويمتلك أجنحة الحمام طولا يساعده على الطيران بمهارة والمناورة، ويتميز بريش ملون بألوان زاهية خاصة في منطقة الصدر والظهر والأجنحة والوجه. قال تميم البرغوثي:

فَتَرى الحمامَ يَطِيرُ يُعلِنُ دَوْلَةً في الريحِ بَيْنَ رَصَاصَتَيْنْ (البرغوثي، 2009: 11)

هنا إشارة على التزام الشاعر بقضية الأمن والسلام في أرض لا تحصل عليه ما دام اليهود فيها فهم يقاتلونه في البر والبحر والجو، ولذلك أشار إلى الحمام الذي هو رمز للسلام وبخاصة الحمامة البيضاء بأنه يحاول إقامة مدينة له لكن الأسف لم يسلم من الرصاص المتعدي الغاشم ولا تتوقف صورة القدس بمعانتها إلى هذا الحد فالقدس مدينة الجميع ولكن التاريخ المزيف جعل أهلها الأصليين هم الطارئين عليها واليهود هم أصحاب الحق.

وقد كتب تميم البرغوثي أيضا قصيدة بعنوان "الحمامة والعنكبوت" وقد دار الخوار بينهما بشكل رائع يتحدثان عن الرجلين الجليلين اللذان في غار ثور حماهما هذان الحيوانان وهذان الشيخان هما رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق اللذان اختبآ في الغار قبل هجرتهما إلى المدينة. ووجدنا في هذه القصيدة أيضا رموزا تزداد جمالا في الحوار. ويسوق البرغوثي هذا الحوار إلى القضية السياسية الفلسطينية الحالية حيث ينشد في القصيدة:

لقد كان في الغار دنيا من الصين حتى بلاد الفرنجة

أسواقها وميادينها وقوافلها وعساكرها وصياح المنادين. (تميم البرغوثي، 2009: 49)

ذكر تميم البرغوثي من الجمادات الموجودة في هذه المدينة مثل كلمة **السور** في أول قصيدته حيث قال في قصيدته:

مررنا على دار الحبيب فردنا # عن الدار قانون الأعادي وسورها

كلمة السور هنا لعل مقصودها يورها الأصيل العتيق الذي يحيط بها منذ القدم، فهي ترد زائرها عنه لأنها تحت الاحتلال، فلا تستطيع إكرام وافديها، بل تخاف أن تنالهم يد الأعادي داخلها. وقد يكون المراد بالسور جدار الفصل العنصري الذي أقامه الكبان الصهيوني ليشد الخناق عنها. سور ظالم جائر ينبئنا عن مدى جبن الأعادي ويذكرنا بأثوار القرون الوسطى البربرية. سور يشتد على مدينة السلام، يطوق مدينة طالما فتحت قلبها فبل أبوابها لصنوف البشر أجمعين.

وبعد أن ذكر كلمة السور سرد الكلمات المتعلقة بالأعادي وهي جورجيا، والتوراة، والبولون، والأحباش، وحائط المبكى، والسياح، والإفرنج وغيرها. يدل هذه الكلمات حال الأعادي الذين وطؤوا القدس على حين غرة من أهلها فهم شتات من جورجيا وبولونيا والحبشة وحتى أرض الفرنجة. جاءوا مستوطنين

وسياحا إلى أرض الميعاد المذكورة في التوراة فادعوا نسبا وحقا في المدينة (حائط المبكى) ولملموا جندا لتثبيت هذا الواقع الجديد. فالمفردات هنا نخنزل برمزية مركزة سيرة الأعادي ومرامهم في مدينة القدس.

يأتي الاستباق في الأبيات السابقة كإعلان عن المشتاقين إلى مدينتهم (القدس) والذين منعهم قانون البغي عنها، فهو يستشرف ما يمكن أن يلقاه من مرير الوضع إذا ما عبر إليها، فربما وجد ما تنوء عن حمله نفسه، فليس كل نفس تسعد بلقاء حبيبها إذا كان هذا اللقاء يبعث الألم والحسرة على ما آل إليه وضع الحبيب. (الحاسب، 69:2022)

ومن الرموز الطبيعية أيضًا **أعمدة الرخام، القبور، والتراب، والعتبات** وغير ذلك.

قال البرغوثي:

في القدس أعمدةُ الرُّخامِ الداكناتُ
كأنَّ تعريقَ الرُّخامِ دخانْ

ترمز كلمة الرخام إلى تركيبته البلورية وقدرته على التلميع، مما يجعله مادة مثالية للزخرفة والتصميم الداخلي. يستخدم الرخام في العديد من المشاريع المعمارية، بدءا من القصور والمعابد القديمة إلى المباني الحديثة. تعرف على أنواع الرخام المختلفة حسب اللون والنوع والمنطقة التي تنتج منها. ومصطلح "تعريق الرخام دخانًا" يُستخدم في الشِّعْر والأدب لوصف الرخام الداكن بطريقة مجازية. يُشير إلى النقوش والأشكال المحفورة على الرخام الأسود أو الداكن، حيث يبدو وكأنه يدخن أو يتصاعد منه دخان. هذا التعبير يُستخدم للإشارة إلى الجمال والتفرد في الرخام الداكن، وكيف يُمكن أن يكون مصدر إلهام للشعراء والكتّاب.

أراد تميم هنا أن يعبر بأن القدس لها رموز طبيعية خلابة من الهندسة المعمارية.

رابعا: الرموز الاجتماعية

صور تميم البرغوثي في قصيدة "في القدس" الحالة الاجتماعية " التي عاشت في فلسطين. ومن مظاهر هذه الحياة الاجتماعية أن مدينة القدس حصبة بالبقالات والثمرات مثل **الخضرة والفجل** حيث أتى السياح من أجلها.

في القدس بائع خضرة من جورجيا برم بزوجته
مع امرأة تبيع الفجل في الساحات طول اليوم

الفجل الفلسطيني

الخضرة الفلسطينية

تدل هذه الرموز أن فلسطين بلدة حصبة تنبت فيها النباتات والثمرات ومن أبرزها الخضرة والفجل. وفي القدس يباع الفجل في الساحات طول اليوم، ويستخدم في الطهي والتحضيرات الغذائية، يعتبر الفجل من التراث الغذائي والثقافي في فلسطين. وهذا رمز من حياة شعب فلسطين المحتلة.

فلسطين تحمل في أرضها الكثير من الجمال الطبيعي والتنوعي البيولوجي، وتظل تحتفظ بأزهارها ونباتاتها كجزء من تراثها الثقافي والبيئي. في هذه الأبيات يبين لنا الشاعر التزامه بحث الناس عن تاريخه العريق ويصور لنا تنوع الحياة اليومية في مدينة القدس وكأننا أمام شاشة فضائية تحكي لنا العلم بكل ألوانه بل استنهض فيها صورة التراث الأصيل عبر العبق الطيب الذي يخرج من أسوارها وتذكير المجتمع بصفة عامة بأصاله القدس وجذورها الضاربة في التاريخ وهي ليست كذلك فحسب بل هي القدس صاحبة تاريخ طويل وأزمتها ملونة يتلون أهلها ولكنها ثابتة في أنها عريقه بعراقة أهلها الأصليين.

ب-السيارة الصفراء؛ قال تميم البرغوثي:

العين تُغْمِضُ، ثمَّ تنظُرُ، سائقُ السيارةِ الصفراءِ، مالَ بنا شَمالاً نائياً عن بابها

السيارة الصفراء في فلسطين ذات رمز اجتماعي فريد لأن الحكومة الفلسطينية قد قررت فس شهر شباط 2020 حظر قيادة المركبات التي تحمل لوحات تسجيل صفراء من قبل المواطنين، ووفق التعليمات الصادرة عن وزارة النقل والمواصلات. (http://www.bnews.ps/ar/node.19565) وقد كسب قيلم "السيارة الصفراء" جائزة نوبل العالمية، ومن هذه الأفلام ما تعطي البطولة لسائق سيارة من رجال العصابات فتراه يتلوى بسيراتة بمهارة عالية فيراوغ الشرطة ويبتعد عنها حتى انة في بعض الأحيان يحلق بسيارتة في السماء ويقفز بها من الفوق البنيان العالية.

ج- القبور:

في القدس تنتظمُ القبورُ، كأنهنَّ سطورُ تاريخِ المدينةِ والكتابُ ترابُها

من الشاعر يبرهن على ماضي مدينته وكذلك العرب المسلمين في هذه المدينة ذكر جميع الأمم التي مرت بها فهو يذكرنا بأن مدينة القدس مدينة عريقة بحضارتها وتاريخها المجيد فهو يلتزم بتاريخه ويذكر

شعبه بخصال مدينتهم الجميلة ويبين لنا أن مدينة القدس كانت مركز الحضارات، من هنا كانت القبور شاهدة على ذلك فهذه المدينة شهيرة على ذلك فهي مدينة كريمة تقبل كل من وطئها سواء كان كافرًا أو مسلمًا وتحترم كرامته وإنسانيته ويذكر أن اليهود لا وجود لهم وبالتالي لاحق لهم في القدس.

د- قطع القماش:

كأنها قِطَعُ القِمَاشِ يُقَلِّبُونَ قَدِيمها وَجَدِيدَها،

وكانت القبور منتظمة لأن المقتولين من المواطنين الفلسطينية يزدادون يوما بعد يوم فكأن هذه الحادثة من سطور تاريخ المدينة وقد أبدع الشاعر تميم البرغوثي بهذا التشبيه البارع.

وقطع القماش رمز على شدة الاختلال الإسرائيلي في أرض فلسطين فكانوا يقلبون قديمها وجديدها حتى شبه القدس بقطع القماش من حيث التناقض والعجائب التي لا ينكرها العباد. فكثرة الأهوال والمصائب التي مارسها العدو اتجاه أهل فلسطين تحولت حياتهم العجائب والغرائب من القصص الملموسة على كافة المستويات التي ينتظرها التاريخ وما يزال.

وأما هذا الوضع السياسي المزري الذي صوره والتزم به تميم البرغوثي فإنه لا يزال يؤمن بحقه في بلاده حتى وإن دخلها في سيارة أجرة صفراء لأنه لا يملك الإقامة الدائمة فيصوروا هذه المدينة أنه مشاعر شاعر يحب وطنه دون أن يعيش هذا الوطن أو هذا الواقع المتأزم فهو يتفاعل معه عبر الصور والمشاهد التي يراها من شاشات التلفاز العالمية وهذه الانفعالات أقوى من تلك التي تنتاب المرء وهو في غمرة الأحداث ويحس الآلام ويعيش المهالك والأخطار فالوطن لا يقف عند الماضي أو الحاضر بل يمتد ليشمل المستقبل فهو المتن وهم الحاشية ولذلك ختم قصيدته "في القدس" بهذه الغفلة الرائعة فيقول :

واعلم أنه في القدس من في القدس لكن لا أرى في القدس إلا أنت (تميم البرغوثي، 2009: 11)

خامسا: الرموز السياسية

نجد كلمات متوفرة تدل على الرموز السياسية في هذه القصيدة لأن الهدف من القصيدة مقاومة الشاعر على الاحتلال اليهودي.

أ- شرطي من الأحباش وفتية البولون:

يُفَقَّهُ فتيةَ البُولُونِ في أحكامها

في القدسِ شرطيٌ من الأحباشِ يُغْلِقُ شَارِعاً في السوقِ،

رشَّاشٌ على مستوطنٍ لم يبلغِ العشرينَ

فالشاعر يوضح لنا في هذه الأبيات التزامه بوطنه فلسطين من خلال حديثه عن أوضاع وطنه واحتلالها من خلال الصهيوني فهو يشير إلى أن القدس تم اغتصابها من اليهود الذين كانوا شرذمة في البلاد فهذا يهودي من الحبشة وفي موقع آخر من البولون.

وفي ذلك إشارة سياسية إلى قصيدة الفلسطينية وكيفية التآمر عليها لدرجة أنه تم عزل بعض المناطق في القدس عن أهلها الأصلين كما تم سن قوانين ووضع حواجز تمنع الوصول لمدينة القدس القديمة ذات الأبعاد الدينية والتاريخية بسهولة إلا من يصلون إلى عمر معين لا يتجاوز خمسين سنة لكي يدخل إليها وفي نفس القصيدة يقول:

فِي القُدْسِ مِتْرَاسٌ مِنَ الإِسْمَنْتْ
في القدسِ دَبَّ الجندُ مُنْتَعِلِينَ فوقَ الغَيمْ
في القدسِ صَلَّينا على الأَسْفَلْتْ

فالشاعر في هذه الأبيات يوحي بدلالات الوضع السياسي الذي تعاني منه مدينة القدس فهي محاطة بالحواجز الإسمنتية التي لا يستطيع أحد إزالتها بسهولة، وفي تلك الحواجز إشارة للمنع والصد ولحجز والأبعاد الداخلي لأهل القدس وعزلهم عليها ويا ليت الأمر توقف عن هذا الحد بل إن القدس أضحت تفيض بالجند المتأهبين لكل من يحيد عن قوانينهم الاستبدادية والظالمة فهم ينتحلون الظلم والقهر السياسي فوق سماء الحرية والأمان فالشاعر يبين لنا التزامه من خلال مشاركة شعبه همومهم.

كما يشير الشاعر أيضا إلى السياسة الاستعمارية في إقامة مستوطناتهم إذ أنهم يختارون دائما أعلى المواقع على سفوح الجبال لضمان سيطرتهم الدائمة، ولكنه يفيض بالأمل فجأة ولذا يقول:

أَحَسبتَ أنَّ زيارةً سَتُزيحُ عن وجهِ المدينةِ يابُنَيَّ
حجابَ واقِعِها السميكَ لكي ترى فيها هَواكْ
في القدسِ كلُّ فتى سواكْ (تميم البرغوثي، 2009: 9)

ب- قنابل الغاز؛ قال تميم البرغوثي:

وتقولُ لي إذ يطلقونَ قنابل الغاز المسيِّلِ للدموعِ عَلَيَّ: لا تحفل بهم
وتفوحُ من بعدِ انحسارِ الغازِ، وَهْيَ تقولُ لي: أرأيتْ!

تشير القصيدة إلى منحى تكاملي بين رموز سيادية تتم عن عظمة وعراقة هذه المدينة، في مقدمة تلك الرموز الدينية التي تشد عروق القدس بثراها، ولذلك نجد الرسالات السماوية الثلاث ومن قبلها الحنفية السمحاء، ترعرعت بتراب هذه المدينة الطاهرة، وكانت ملاذا وركنا متينا لأولي العزم من الرسل. وقد يكون هذا من بين الأسرار التي حفيت بها قصة الإسراء والمعراج مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. أما الرموز السياسية فهي انعكاس طبيعي لهيمنة الرموز الدينية، فمدينة القدس تضرب لها أعناق النساك

والمريدين لهي أجدر بأن تقود العالم وتسوس الشعوب بهدى الوحي وحكمة الأنبياء. لذلك جاءت الرموز الجغرافية تبعا في الهيمنة للرموز السياسية لترسخ مبايعة الأقاليم الكبار تباعا والتسليم لهذه المدينة بقيادتهم وحق لها ذلك (ما وراء النهر، بابل، الهند، مص، ...) فما كان من وفاء هذه المدينة إلى جزاء لهم بتخليد آثارهم فيها.

قنابل الغاز الإسرائيلية

شرطي من الأحباش

الخاتمة:

كشفت دراسة الرموز بأنواعها المختلفة في قصيدة تميم البرغوثي عن المقاومة الفلسطينية دور الأنساق الرمزية في تشكيل النصوص، وتعميق معانيها، ورسم لوحاته الفنية، فقد استطاع تميم البرغوثي أن يرسم بريشة الرمز لوحات فنية أخاذة، تشير بالجمالية ويمور بالإيحاءات وتنشطر بالمعاني وتتشطر بالدلالة، فتطريز جسد القصيدة بالرموز كساها رونقا وجمالا، وعمقا ودلالة وإيحاء، وحول لحظة الكشف في القصيدة من لحظة آنية إلى لحظة خالدة ومتمددة، من الماضي إلى الحاضر والمستقبل.

حملت الرموز في النصوص أبعادا دينية واجتماعية وسياسية وفكرية، وكشفت عمق تجربة الشاعر الشعرية والشعورية، وعكست قدراته اللغوية والأسلوبية والفنية، وواسعية ثقافته، ونضج فكره.

المصادروالمراجع:

أحمد، محمد فتوح ، *الرمز والرمزية في الشعر المعاصر*. مصر: دار المعارف. 1977: 40)

البرغوثي، تميم. *ديوان القدس*. القاهرة. دار النشر للتوزيع. 2009.

_____. *في القدس* (القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع. 2009).

_____. قالوا لي بتحب مصر قلت مش عارف (القاهرة. دار الشروق. 2009)

جان كوهن، بنية اللغة الشعرية (الدار البيضاء. 1986: 33)

الحاسب, آ. ع. ا. ع. (2022). البنية السردية في شعر تميم البرغوثي, *Journal Og College Education* . *49*(4). https://doi.org/https://doi.org/10.31185/eduj.Vol50.Iss2.3478

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر ، *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل* (القاهرة: دار الفكر. دت).

السكوت، حمدي. *قاموس الأدب العربي* (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. د.ت)

فضل، صلاح. *في النقدالأدبي* (دمشق: اتحاد الكتاب العرب. 2007)

قاعد، ماجد. "سيمياء الرموز في شعر محمد أحمد منصور بين البناء الفني والتكثيف الدلالي" Journal of Tikrit University for Humanities 29 (3) (فاس: 2022)

قطب، سيد ، *في ظلال القرآن* (القاهرة: دار الشروق. 1996)

قواسة، أسماء إبراهيم عبد الغني ، *المدلول الرمزي والديني للزخارف الفسيفسائية الأموية في قبة الصخرة* (رسالة الماجستير – جامعة القدس – فلسطين – 2018)